تعميم اللغة العربية في المجالات التعليمية في الفترة البومدينية

بن عدة فاطمة

Dissemination of the Arabic language in the educational fields in the period of the Boumediene

benadda fatima

المركز الجامعي أحمد زبانة – غليزان - الجزائر

benaddafatima87@gmail.com

الملخص:

تضمنت هذه الدراسة دراسة حول سياسة الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين في تعميم اللغة العربية في التعليم في الجزائر، وذلك من خلال تتبع المراحل التي قطعها خلال فترة حكمه للجزائر لفرض اللغة العربية التي كان يقدسها الراحل، وذلك تمهيدا لانطلاق ثورة ثقافية يقضي بها على التبعية الثقافية لفرنسا. بفرض اللغة العربية والتعامل بها في مختلف المجالات الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: السياسة، هواري بومدين، التعميم، اللغة العربية، التعليم.

Summary:

This intervention included a study on the policy of the late Algerian President Houari Boumediene in the generalization of the Arabic language in education in Algeria, by following the stages he took during his reign to Algeria to impose the Arabic language that was sanctified by the late, in preparation for launching a cultural revolution to eliminate the cultural dependence of France . To impose the Arabic language and deal with it in various social fields.

key words:

Politics, Houari Boumediene, generalization, Arabic language, education.

تقديم:

كان للرئيس هواري بومدين في فترة حكمه لمسته البارزة من خلال محاولاته المتكررة للحفاظ على اللغة العربية وتعميمها في مختلف مجالات الحياة في الجزائر، ومن خلال تتبع خطب الرئيس "هواري بومدين" نلمح الجهود التي كان الرئيس يحاول من خلالها أن يبرز الشخصية الجزائرية العربية، ليقضي بذلك على التبعية، لتكتمل وحدة الجزائر بعد فترة الاستقلال، نلمح مدى اهتمامه باللغة العربية؛ لذلك ركز على أن يكون لتعليم اللغة العربية الأسبقية في كافة المجالات وخصوصا التعليمية لأنها الأساس في بلد عربي مسلم. لترسيخ القيم الدينية والحفاظ على الهوية. فكان له في ذلك منهج وسياسة متبعة لوصول إلى هدفه في الحفاظ على اللغة العربية، فكيف دافع الرئيس عن اللغة العربية، وما هي السياسة المتبعة من طرف الرئيس هواري بومدين لتحقيق هدفه في الحفاظ على اللغة العربية في الجزائر؟.

تم تقسيم المداخلة إلى المباحث التالية:

- الحياة الثقافية للجزائر بعد الاستقلال.
- الرئيس هواري بومدين.
- سياسة الرئيس هواري بومدين في فترة حكمه.
- تعميم اللغة العربية في المجالات التعليمية.

الحياة الثقافية في الجزائر قبل الرئيس هواري بومدين:

إذا تتبعنا الحياة الثقافية للجزائر بعد الاستقلال نلمح مخلفات الاستعمار الفرنسي في مختلف مجالات الحياة بعامة والحياة الثقافية بخاصة، لأن الاستعمار الفرنسي أول ما دخل إلى الجزائر حارب الهوية الجزائرية بكل ما استطاع من قوة، وبما أن اللغة العربية هي أساس الهوية العربية الإسلامية في الجزائر سعى الاستعمار إلى محوها بكل الطرق، لغرض اجتثاثها من جذورها وتعويضها بالفرنسية، لتصبح الجزائر فرنسيو لا عربية؛ حيث "قضى على معظم مراكز الثقافة العربية واللغة العربية التي تتمثل في المدارس والجوامع، والزوايا، التي كانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال، فالبعض منها حولها لمعاهد للثقافة الفرنسية، والبعض الآخر سلمه إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذته مراكز لنشاطها في هد عقيدة الجزائريين والبعض الآخر قام بهدمه تحت دعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية"[1] فالاستعمار الفرنسي حاول بكل الطرق والأساليب

محو الثقافة العربية الإسلامية من الجزائر. وذلك لتحويل الجزائر الجزائرية إلى جزائر فرنسية، فاللغة العربية كانت مستهدف بشكل تام لأنها حامل الهوية الجزائرية الإسلامية؛ فهي لغة القرآن.

ولكن معركة الجزائريين ضد الاستعمار الفرنسي لم تكن معركة مسلحة فقط، بل كانت معركة ثقافية حاول من خلالها من اختص بهذا الأمر من الشعب الجزائري وعلى رأسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكانوا منضمين تحت لوائها الحفاظ على الهوية الجزائرية العربية الإسلامية حيث " يرجع الفضل في ذلك إلى جمعية العلماء التي جعلت من التربية والتعليم منطلقها ومطيتها إلى مطالبها للإصلاح والإرشاد، والتي قطعت على نفسها وعلى الأمة وعدا بالنضال من أجلها رغم ما عانته من تعنت الزمان وجحود الإنسان وكلب السلطان ((كما يقول الشيخ الإبراهيمي))"[2] فقد سعت الجمعية إلى تحرير العقول قبل تحرير الأجساد والأرض وهذا ما صرح به الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في كتاباته.

فمعركة الجزائريين بعد الاستقلال كانت معقول بعد تحرير الوطن، معركة استعادة كل ما حاول الاستعمار الفرنسي الغاشم اجتثاثه من أصول الجزائريين العرب المسلمين، العربية لغة الجزائر الأولى والإسلام دينها. فقد كانت الجزائر "قبل الاستقلال من أفقر البلاد العربية إنتاجا ثقافيا في مختلف ميادين الثقافة ومستوياتها"[3] ولكن الأمر لم يدم طويلا بد الاستقلال لأن الشعب الجزائري واصل ثورته في مختلف مجالات الحياة ليفرض هيمنته عليها بعقله العربي المسلم؛ و"ذلك عندما قضى على مؤسساتنا واستولى على أراضينا ووضع كل أجهزة الدولة في يد أقلية أجنبية استوطنت بلادنا بالاحتلال والقوة، لم يمنع الشعب الجزائري من أن يبني حياة اجتماعية جديدة"[4] ولم يقتصر ذلك على الحياة الاجتماعية حسب بل تعدى ذلك إلى مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية.

وكان كل ذلك قبل فترة حكم الرئيس الراحل هواري بومدين التي امتدت فترة حكمه من سنة1965 إلى سنة 1978، والمعروف عن الرئيس حبه الشديد للغة العربية، وسعيه الدءوب للحفاظ عليها. واعتبارها مرتكزا أساسيا من مرتكزات مقومات الهوية الجزائرية العربية المسلمة. وهذا ما برره اهتمامه بالتعليم باللغة العربية.

الرئيس الرّاحل "هواري بومدين":

ولد محمد بوخروبة يوم 23 أوت1923م بدوار بلدية عين لحساينية سابقا، هواري بومدين حاليا على على بعد حوالي 15 كلم غرب قالمة. وأبوه الحاج إبراهيم بن عبد الله بن سعدي

بوخروبة، وأمّه تونس بوهزيلة. و"هواري بومدين" الاسم الثوري الذي اشتق من كلمتين: "سيدي الهواري" الولي الصالح بمدينة وهران، أمّا الاسم الثاني: "بومدين" فيعود إلى ولي المسجد الكبير بتلمسان "سيدي بومدين""[5]"

بدأ دراسته الابتدائية بالمدرسة الابتدائية محمد عبدو، ثم انتقل سنة 1948 إلى قسنطينة حيث دخل إلى معهد الكتّانية المحاذي لسوق العصر، تتلمذ على يد عدد من المشايخ نذكر منهم: الشيخ بالحنش، والطيب كعبش، ولخضر الناصري، وفي سنة 1951 نظم رحلة من بهدف التمدرس من قالمة إلى الأزهر الشريف، وبالقاهرة وجد نفسه وسط زخم هائل من فطاحل الفكر والمعرفة، والأدب، والسياسة"[6]"

نشأ نشأة دينية في ظل رعاية والديه، الذين ورث عنهما وطنية متأججة صادقة منذ نعومة أظافره، وحفظ القرآن الكريم وعمره لا يتجاوز العشر سنوات، وكان جدّه يشتغل بتعليم القرآن الكريم. عاش متشبعا متشبّثا بأرض الأجداد، مترعرعا بين أحضان الطبيعة التي يغلب علها الطابع الجبلي"[7]"

أصيب "هواري بومدين" أثناء مظاهرات 8 ماي 1945 بقالمة برصاصة في رجله اليسرى، وقد أثرت في نفسه تلك المشاهد المروعة تأثيرا عميقا، وتفاعلت هذه الأحداث التي عاشها طوال حياته على بناء ثقافته، وفكره ليكون لها الأثر في صناعة رجل لا يمكن أن يكون إلاّ ثائرا"[8]" وتوفي بتاريخ 27 ديسمبر من سنة1978م، كانت هذه نظرة تعرفنا من خلالها على جانب من حياة الرئيس الراحل "هواري بومدين".

سياسة الرئيس هواري بومدين في فترة حكمه:

كان للرئيس الراحل هواري بومدين سياسته المدروسة والشاملة لجميع قطاعات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولكننا نحن في هذا المقام سنركز على جانبين مهمين هما الجانب الثقافي والاجتماعي، وكيف كانت نظرته لهذين القطاعين وعلاقتهما باللغة العربية عنده. وقد كان الرئيس "هواري بومدين" يمتلك تفكيرا مبدعا خلاقا جعله يقترب من الشعب الجزائري، ويحوز على الرّيادة وحب هذه الطبقة له، وكان الرئيس خلال سنة 1972م من تاريخ 17 جانفي إلى 5 ديسمبر قد (أشرف وخاطب في 22 مهرجان شعبي عبر قرى ومدن ولايات الجمهورية. بمعدل خرجتين في الشهر للاتصال المباشر بالجماهير والتحسس بأحوالهم ودراسة متطلبات كل منطقة)"[9]"وهذا دليل على رغبته في إيصال رسالته معتمدا على الاتصال

المباشر بالشعب الجزائري (فعندما تعيش السلطة في وسط الشعب تترسخ ثقة المحكوم بالحاكم)"[10]وكان هذا سببا لكسب ثقة الشعب، وهذا نتيجة لقوة شخصيته، وحب التحدي في سبيل صياغة كيان شعب مرت عليه مرحلة استعمارية طويلة حاول الاستعمار أثناءها زعزعة هوية الشعب الجزائري، فكانت خطبه رسائل موجهة للشعب قصد التفكير في بناء حاضر ومستقبل قريب وبعيد.

فسياسته كما قال عمارة بومايدة ((مرحلة الوعي بالمستقبل)) "وقد بدأت سياسة الوعي بالمستقبل مقرونة بأهمية الوعي بالتغيير تتجسد فعليا بضمائر الشعب بعد أن تزاوجت ثقة الحاكم بالمحكوم.. فكانت تلك الثقة أكبر صانع للإرادة الجماعية في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وهذه السياسة لم تترسخ بقرارات أو تنفخ بقدرة قادر.. أو إعطاء وصفة للتلقيح بحقنة من طبيب سياسي بل تتجسد بالإرادة الشعبية، وإيمان النخبة الوطنية بتحمية البناء والتشييد ..رغم صعوبة تلك المرحلة بمناخها الداخلي والخارجي. ضف إلى ذلك عمر الاستقلال كان لا يزال في المهد. مغمورا بأوحال وتراكمات مثقلة من مخلفات الاستعمار في ميادين الجهل والتخلف الاجتماعي والاقتصادي والإداري المدمر. وكانت سياسة الوعي بالمستقبل هي المجاهرة بالواقع، والتحلي باليقظة، والقناعة بالتقشف، والاعتماد على النفس في بناء المستقبل"[11] فالتغيير لا يكون بشخص واحد أو من شخص واحد بل بتضافر الجهود كل من لهم علاقة بالأمر. والمسؤول هنا ليس الرئيس لوحده بل الشعب كله وعلى رأسهم المثقفون. برئاسة الرئيس، هذه هي باختصار السياسة التي اتبعها الرئيس في فترة حكمة من أجل التغيير نحو الأحسن خلال المستقبل القريب والبعيد.

تعميم اللغة العربية في المجالات التعليمية.

تعريب الإطارات:

خطبة الرئيس "هواري بومدين" التي ألقاها أمام إطارات الأمة، يوم 29 أكتوبر 1971م، والتي كان عنوانها (إطارات الجزائر يجب أن ينهلوا من كل ثقافات العالم. لكن بتحقيق شرط إعطاء الأسبقية لتعلم اللغة الوطنية)"[12]" حيث يقول: (لقد جعلنا من أهداف سياستنا القضاء على التبعية في الميدان الثقافي، كما قضينا على التبعية في الميدان الاقتصادي، لكي يكتمل هذا الاستقلال، ويتدعّم وتبرز الشخصية الجزائرية في أحسن حللها، وأجمل مظاهرها. والمعركة في هذا الميدان ليست سهلة ولا بسيطة، ولأنها في كثير من الأحيان تمس الأشخاص أنفسهم.

فعندما ناديا بالتعريب مثلا، أثارت هذه القضية الكثير من الجدل، واعتقد البعض أنّ التعريب ضربة موجهة لمصالحهم الخاصة ذلك لأنّهم لم يكونوا مسؤولين عن الحالة التي وجدوا عليها، وليس لأحد أن يلومهم لأنّ تكوينهم كان تكوينا فرنسيا محضا. وقد قلنا في مناسبات متعددة أنّ طرح القضية على هذا الأساس وبهذا الأسلوب يعتبر في نظرنا خطأ. ونعتقد أنّه محض انحراف، فإطارات الجزائر يجب أن ينهلوا من كل ثقافات العالم، وأن يتعلّموا كل اللغات التي تسيطر على الميدان الثقافي في عالم اليوم، لكن هذا لا يكون إلا بتحقيق شرط أساسي هو إعطاء الأسبقية، كل الأسبقية لتعلم اللغة الوطنية.

ذلك أنّ اللغة الوطنية جزء لا يتجزء من الشخصية الجزائرية، وإني أعتقد أن الكلام عن بعث الشخصية الجزائرية وإحياء التراث الجزائري وتجديد الثقافة الوطنية دون القيام بهذا العمل الحيوي ما هو إلا غلط، وضرب من ضروب الخيال.

والواقع أننا قد تجاوزنا الوقت الذي كانت فيه هذه القضية غامضة، فقد أصبحت الأفكار اليوم حول هذا الموضوع واضحة، لكني إذا أشرت إلى ذلك فلكي ألاحظ بأن عملنا متسلسل ومتكامل، فكلما قضينا على التبعية الاقتصادية وحررنا اقتصادنا نسعى للقضاء على التبعية الثقافية وبعث ثقافة وطنية تنسجم مع ماضينا ومعتقداتنا، ونأخذ بعين الاعتبار في نفس الوقت المحيط والعصر الذي نعيش فيه. ذلك هو مفهومنا لهذا الهدف الذي يحمل اسم الثور الثقافية)"[13]

إن المتمعن في هذا الخطاب يلمح وبكل وضوح وجلاء أن الرئيس كان يحاول أن يبرز الشخصية الجزائرية العربية، ليقضي بذلك على التبعية، لتكتمل وحدة الجزائر بعد أن وهي في بداية استقلالها، جزائر العروبة لذلك ينبغي أن يكون لتعليم اللغة العربية الأسبقية في كافة المجالات، ولا يعني هذا عدم تعلم اللغات الأخرى، بل التركيز على اللغة العربية لأنها الأساس في بلد عربي مسلم، وهذا ما يعكسه قوله "وعلى هذا الأساس حرص نظام بومدين استعادة مقومات الشخصية الوطنية وهي الإسلام واللغة العربية"[14] وكان حرصه على هذا الأمر حرصا شديدا "ولهذا اهتم بومدين كثيرا باللغة العربية وأخذ مكانتها الطبيعية في المجتمع والمدرسة ومختلف مؤسسات الدولة، فأصدر قرارا عام 1971 ينص على تعريب الإطارات، ويشترط معرفة اللغة العربية على هؤلاء، وقام بحملة لتعليم اللغة العربية في مختلف المؤسسات، كما عمل على التعريب التدريجي للتعليم"[15] فكنت هذه انطلاقة الثورة الثقافية التي أرسى معالمها الرئيس هواري بومدين، ليس بجانب من الاهتمام فقط بل تعدى الأمر ذلك إلى إصدار قرارات صارمة ينبغي

لكل معني بها أن يطبقها.

والمعنيون بهذه القضية من الشعب الجزائري هم هم الفئة المثقفة، وإطارات الشعب الجزائري، وهذا الانحصار يعكس حصر قضية التعريب والاهتمام باللغة العربية في الجزائر التي كان الرئيس يدعو إليها في فئة معينة، وهي قضية طالما أشار إليها الرئيس في أكثر من موضع، وأكثر من خطاب، وطالما ركز عليها لأهميتها بالنسبة إليه باعتباره رئيسا وبالنسبة للجزائر والجزائريين باعتبارهم شعب عربي مسلم، واعتبرها قضية شعب، وحدد الفئة التي ينبغي عليها أن تقوم بهذه المهمة، وحصرها في (إطارات الجزائر)"[16] ولم يعمم المجتمع ككل، ليعود في موضع آخر ويحدد أكثر هذه الفئة بقوله: (حينما يتوفر للبلاد الإطار الكافي والواعي)"[17]وذلك لما لهذه العينة من قدرة على التغيير دون البقية، وكان الرّئيس راغبا في تغيير الوضع الذي كان سائدا في تلك الفترة الزمنية، والفترات التي سبقتها من تاريخ الجزائر.

تعريب التعليم:

كان اهتمام الرئيس هواري بومدين بتعريب التعليم كبيرا وهذا ما أدى به إلى" المبادرة بتعريب كوادر وزارة التربية الوطنية ووضع برنامج سريع لتعريب التعليم وتعميمه، لأن التعليم عليه المعول في تكوين كوادر المستقبل وعلة وزير التربية أن يقوم بما يلي:

- تأسيس معهد وطني للتعريب في الحال ويقوم هذا المعهد بما يلي:
- وضع مجموع قواعد عملية تستخدمها الإدارات.
- وضع كتب مدرسية أساسية لتعليم اللغة العربية في مختلف المراحل التربوية من التعليم الابتدائي وإلى الجامعة.
- الحرص على تزكية التعليم التربوي للغة العربية، ونتيجة لذلك يجب أن تصدر الجريدة الرسمية باللغة العربية ويجب تحسين حالة الترجمة وتعميمها ويجب تعريب البريد وكل الوزارات."[18] فكانت هذه سياسته في تعميم اللغة العربية في كافة المجالات التعليمية من الابتدائي إلى الجامعة، حيث " شرع بومدين في عملية التعريب التدريجي للتعليم، ووقع على مشروع المدرسة الأساسية عام 1976"[19] فهو بهذا قد أعطى الاهتمام وكل الاهتمام للغة العربية في مجال التعليم بكل أطواره، متبعا بذلك سياسة تعليمية تحكمها قرارات وزارية لحماية اللغة العربية.

حصر مهمة الزوايا في التعليم:

تعتبر الزوايا مراكز لتعليم اللغة العربية، وترسيخ تعاليم الدين الإسلامي منذ القديم في الجزائر، وقد حاول الاستعمار الفرنسي محاربة هذه الزوايا، وتشويه صورتها أمام الشعب الجزائري طوال فترة احتلاله للجزائر، ولكن جهوده هذه باءت بالفشل لأنه لم يستطع القضاء عليها بشكل كلي وتام، والرئيس هواري بومدين اهتم بهذا الجانب وركز على دورها في المجتمع والذي حصره في الجانب التعليمي حيث قال في يوم إعلامي مع الطلب كان بتاريخ 19 فيفري 1973: "لا أعتقد أن مشكل الزوايا الذي هو أحد مخلفات الماضي، لا زال يشكل خطرا، لا زال يشكل خطرا هاما.. فنسبة انتشار الوعي بين الأوساط الشعبية، تجعلني أعتقد أنه لم يبق هناك من لا زال يعتقد في السلطة الروحية لهذه الزوايا، لأننا لسنا في حاجة إلى وسيط بين السماء والأرض. ونحن نعرف جيدا كل الزوايا الموجودة في البلاد، وعلى كل .. فإن دورها يجب أن ينحصر في التعليم فقط، وتحت مراقبة الوزارة المعنية بذلك"[20] والتعليم في الزوايا تعليم باللغة العربية، حيث أن الرئيس هواري بومدين حصر المهمة في التعليم زيادة في تثبيت جذور اللغة العربية في المجتمع الجزائري.

خاتمة:

وبهذا يمكننا القول أن كانت له سياسته المدروسة في الجانب التعليمي بعامة، والتركيز على التعليم باللغة العربية بخاصة، ولم تنحصر جهوده في مرحلة تعليمية معينة بل شملت كل الأطوار التعليمية من الابتدائي إلى الجامعة. ولم تقتصر سياسته في دعم اللغة العربية على التعليم حسب، بل تعدى ذلك إلى فرض تعليمها على كافة إطارات الدولة، والتعامل بها في مختلف مجالات الحياة، ولكن وافته المنية قبل أن يتم ما بدأ به تماما كاملا، كانت هذه الدراسة نظرة وجيزة حول سياسة الرئيس الراحل هواري بومدين في تعميم اللغة العربية في المجالات التعليمية.

هوامش الدراسة:

---

[1] - صبرينة بودريوع الحياة الاجتماعية في ظل النظام الاشتراكي المرحلة البومدينية أنموذجا (1965-1978)،، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011، ص23.

[2] - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، مجموعة من الكتاب، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2012م، ص324-325.

[3] - عبد الله شريط مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الأيديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط،1986م، ص220

[4]- نفسه، ص223.

[5]- بومدين والآخرون ما قاله ... وما أثبتته الأيام...، عمار بومايدة، ص16.

[6]- نفسه.

[7]-بومدين والآخرون ما قاله ... وما أثبتته الأيام...، عمار بومايدة، ص19.

[8]-نفسه، ص21-22، باختصار.

[9]- بومدين والآخرون ما قاله ... وما أثبتته الأيام...، عمار بو مايدة، ص222.

[10]- نفسه، بتصرف.

[11] نفسه، بتصرف

[12]-بومدين والآخرون ما قاله ... وما أثبتته الأيام...، عمار بو مايدة، ص161.

[13]- بومدين والآخرون ما قاله ... وما أثبتته الأيام...، عمار بو مايدة، ص161.

[14]-رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ، رابح لونيسي، دار المعرفة، دط، 2011م، ص226.

[15] نفسه.

[16]-بومدين والآخرون ما قاله ... وما أثبتته الأيام...، عمار بو مايدة، ص161

[17]-خطب الرئيس بومدين الأشهر الستة الأخيرة من سنة 1971م، وزارة الإعلام والثقافة، ص44.

[18] - بومدين والآخرون ما قاله ... وما أثبتته الأيام...، عمار بو مايدة، ص205.

[19] - رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ، رابح لونيسي، ص231

[20] - بومدين والآخرون ما قاله ... وما أثبتته الأيام...، عمار بو مايدة، ص163.